دور الزكاة في تنمية المشروعات الصغيرة

وتعزيز فرص العمل للفقراء في مصر

د. عماد صالح سلام

مدير عام مركز سلام للاستشارات الإدارية وتنمية الموارد البشرية - القاهرة

الحلقة (١)

تكمن أهمية الزّكاة في محاربة الفقر وتحقيق التكافل الاجتماعي لجميع أبناء المجتمع، لتتوافر لهم حياة كريمة وتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية بين المواطنين، حيث تسهم الزكاة في تحسين المستوى المعيشي والصحي والتعليمي للفقراء مما يؤهلهم ليصبحوا قوة عمل مشاركة في التنمية الاقتصادية.

توجد فئة من المستحقين للزكاة وهم الفقراء المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافاً، هم أولى الناس بالعون والمساعدة. وقد أمر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن أن يأخذ صدقة من فضول أموال الأغنياء ويردّها إلى الفقراء.

وتتمثل أهمية الزكاة في أنها من محاسن الإسلام الذي جاء بالتكافل والتراحم والتعاطف بين أفراد المجتمع، والتعاون بين المسلمين على البرّ والتقوى، وبالأمن والأمان والرخاء لهم، وتحقيق عدالة الإسلام والتكافل الاجتماعي بين الناس، حيث يكفل للمحتاج ما يعينه على حياته من مال الزكاة، ويكفل للغني حرية التملك لماله لإيتائه الزكاة. وليس القصد من الزّكاة هو سد حاجات الفقراء وإشباعها لبعض الوقت فقط، ولكن القصد منها هو إخراجهم من الفقر على الدوام، وذلك بتمليكهم الوسائل الّتي تحميهم من التردي في الفقر مرة أخرى وتنقلهم من الكفاف إلى الكفاية.

مصارف الزكاة والصدقات: لقد أطلق القرآن الكريم والسنة النبوية على الزكاة لفظ الصدقة، يقول الله تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(التوبة : ١٠٣) . وفيما يلي نستعرض بإيجاز مصارف الزكاة والصدقات بصورة مختصرة حيث وردت بشكل مفصل في كتب الفقه .

الأصناف الثمانية لمصارف الزكاة والصدقات : تتعدد مصارف الزكاة ومصارف الصدقات غير الزكاة، فبينّ الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز مصارف الزكاة وحصرها في ثمانية أصناف، يقول تعالى : **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** (التوبة : ٦٠) . ومن هذه الآية يمكن بيان مصارف الزكاة والصدقات والمقصود بكل من هذه الأصناف الثمانية :

- الفقراء : الذين لا مال ولا كسب لهم يكفيهم الحاجات الأساسية للحياة الكريمة، والفقير أشدُّ حاجةً مِنَ المسكينِ .
- المساكين : المسكين أحسن حالا من الفقير، لكن لا يجد جميع الكفاية، ولكن الفقراء والمساكين يشتركا في أنهما دون الكفاية .
- العاملون عليها : عامل الزكاة هو الذي يتولى القيام بالعمل على الزكاة، بحسب نوع العمل، مثل : الجابي أو الساعي في جمع مال الزكاة، أو الكاتب، من يقوم بحصر أموال الزكاة، أو الخرص، والتقييد، أو الحساب، أو الصرف للمستحقين، أو غير ذلك مما يحتاج إلى عمل، ويعطى العامل قسطا من مال الزكاة مقابل عمله، وهو عبارة عن أجرة يأخذها مقابل عمله على الزكاة، وتقدر بقدر عمله، سواء كان غنيا أو فقيرا، وليس له قبول الهدية ممن ولي عليهم بتحصيل مال الزكاة منهم، أو صرفها لهم؛ للنهي عن ذلك .
- المؤلفة قلوبهم : وهم الذين دخلوا في الإسلام حديثًا يعطون من الزكاة تأليفًا لقلوبهم، أو هم من يرجى إسلامهم من أهل الرأي والنفوذ ولهم دور في صلاح المسلمين وحمايتهم في ضوء المصالح الشرعية .
- في الرقاب : ويقصد به تحرير الإنسان من العبودية والقهر والتسلط، وهم على ثلاثة أشكال : المكاتبون المسلمون : فيعانون لفك رقابهم، إعتاق الرقيق من المسلمين، فك أسر الأسرى من المسلمين .

- الغارمون: وهم المدينون في غير معصية العاجزون عن سداد ديونهم، أو تحمل حمالة لإصلاح بين الناس، أو كان ضامنًا وعجز عن الدفع.
- في سبيل الله: والمراد بذلك، إعطاء الغزاة المتطوعين للجهاد، وكذا الإنفاق في مصلحة الحرب وكل ما يحتاجه أمر الجهاد وحماية الدين وجعل كلمة الله هي العليا.
- ابن السبيل: ويقصد به المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفقته بشرط عدم المعصية، فيعطى ما يوصله إلى بلده.

التطبيق المعاصر لمصارف الزكاة والصدقات: يشير البعض[1] إلى بعض الحالات المعاصرة لمصارف الزكاة والصدقات نعرضها فيما يلي:

- دعم المجاهدين في سبيل الله بالمفهوم الواسع، ويدخل في نطاق ذلك شراء السلاح والعتاد والإنفاق على تدريبهم، والإنفاق على أسرهم وكل ما يدخل في تفسير قول الله تبارك وتعالى: [**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم** (الأنفال: ٦٠).
- الفقراء والمساكين من الأقارب واليتامى والأرامل والمطلقات والمسنين والعجزة والمرضى والعاطلين وأسر المسجونين والمعتقلين والمفقودين الذين لا يسألون الناس إلحافا.
- الطلبة الفقراء ولا سيما الوافدين الذين خرجوا لطلب العلم النافع المشروع، الذين انقطعت مصادر مواردهم المالية وضاقت عليهم السبل.
- دور العلم الدينية مثل كتاتيب تحفيظ القرآن والمدارس الإسلامية في المهجر والبحوث والدراسات الإسلامية لنشر الدين والدفاع عنه، ودعم القنوات الفضائية الإسلامية التي لا تهدف إلى تحقيق الربح.
- حماية الأقليات الإسلامية من حملات التنصير وحفظهم من كل ما يؤثر على عقيدتهم وحياتهم وحريتهم.
- الدفاع عن المعتقلين والمسجونين في أي مكان في العالم بسبب الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

[1] حسين حسين شحاتة، لمن تُعطى الزكاة والصدقات؟ (مصارف الصدقات)، سلسلة بحوث ودراسات في الفكر الاقتصادي الإسلامي بالموقع الإلكتروني لدار المشورة http://www.dr-hussienshehata.com/Search.aspx?q، يوليو 2020.

- دعم الحركات الإسلامية التي تدعو إلى تحرير المسلمين بالسبل المشروعة، وكذلك الذين يعملون في الدعوة الإسلامية.
- المهجرون والمنكوبون بسبب الفيضانات والكوارث والمصائب والزلازل والحروب وما في حكمها.
- مساعدة الشباب الفقير المقبل على الزواج في نطاق الضروريات والحاجيات لحفظ العرض والمجتمع.
- مساعدة من أصابتهم كارثة أو مصيبة أو حاجة أو ما في حكم ذلك.
- وجوه البر العامة التي فيها منافع للناس في إطار مقاصد الشريعة الإسلامية ومنها: بناء المساجد والمستشفيات الخيرية ودور الرعاية الاجتماعية ومراكز الثقافة الإسلامية.
- تمويل المشروعات الصغيرة وتمليكها أو تأجيرها للشباب الفقير العاطل بهدف المساهمة في علاج مشكلة البطالة.

فالإسلام يحض على الإنفاق وبذل الأموال في وجوه الخير، وبصفة خاصة تقديم العون والمساعدة للفقراء المتعففين الذين يستحقون حقًا للصدقة والإنفاق، ويمكن بيان صفاتهم والمسائل التي تتعلق بهم.

الفقراء المتعففين في الإسلام: صفات الفقراء المتعففين في القرآن والسنة: يقول الله تعالى: **لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ** (البقرة: ٢٧٣).

تدعو هذه الآية لبذل الأموال في وجوه الخير، وخص سبحانه وتعالى بالذكر طائفة من المؤمنين هي أولى الناس بالعون والمساعدة، ووصف هذه الطائفة **بست صفات** من شأنها أن تحمل العقلاء على المسارعة في إكرام أفرادها وسد حاجتهم[1].

[1] محمد سيد طنطاوي، (1997)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ص 525 - 529.

لقد وصفهم الله تعالى أولاً بالفقراء[1]، أي الذين هم في حاجة إلى العون والمساعدة لفقرهم واحتياجهم إلى ضرورات الحياة.

أما الصفة الثانية؛ فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، والإحصار في اللغة هو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين ما يريده بسبب مرض أو شيخوخة أو عدو أو ذهاب نفقة أو ما يجرى مجرى هذه الأشياء. والمعنى: اجعلوا الكثير مما تنفقونه – أيها المؤمنون – لهؤلاء الفقراء الذين حصروا أنفسهم ووقفوها على الطاعات المتنوعة التي من أعظمها الجهاد في سبيل الله، أو الذين منعوا من الكسب بسبب مرضهم أو شيخوختهم، أو غير ذلك من الأسباب التي جعلتهم في حالة شديدة من الفاقة والاحتياج.

وعبر في الجملة الكريمة –ب (أحصروا) بالبناء للمجهول، للإشعار بأن فقرهم لم يكن بسبب تكاسلهم وإهمالهم في مباشرة الأسباب، وإنما كان لأسباب خارجة عن إرادتهم.

يشير ابن كثير في تفسيره[2]، أن هذه الآية تعني المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله وسكنوا المدينة، وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم. فقد حصروا لأن الكافرين يضيقون عليهم منافذ الحياة، أو حصروا أنفسهم على الجهاد، ولم يحبوا أن يشتغلوا بغيره؛ لأن الإسلام كان لا يزال في حاجة إلى قوم يجاهدون.

وقوله: (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) تكريم وتشريف لهم، أي أن ما نزل بهم من فقر واحتياج كان بسبب إيثارهم إعلاء كلمة الله على أي شيء آخر، ففي سبيل الله هاجروا، وفي سبيل الله تركوا أموالهم فصاروا فقراء، وفي سبيل الله وقفوا أنفسهم على الجهاد، وفي سبيل الله أصابهم ما أصابهم وهم يطلبون أداء ما كلفهم – سبحانه – بأدائه.

---

[1] الفقراء جمع فقير والفقير هو المعدم، لأن أصل هذه الكلمة مأخوذة من الفقر الموافق للقفر في الاشتقاق الأكبر الذي يساوي في الحروف دون الترتيب، والقفر هو الشيء الخالي، الأرض الخالية وكما قال الشاعر: "وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر". الكلام على إن القفر بمعنى الشيء الخالي، الفقير معناه الخالي ذات اليد؛ ويقرن بالمسكين أحيانا؛ فإذا قرن بالمسكين صار لكل منهما معنى؛ وصار الفقير من كان خالي ذات اليد؛ أو من لا يجد من النفقة إلا أقل من النصف؛ والمسكين أحسن حالا منه، لكن لا يجد جميع الكفاية؛ أما إذا انفرد أحدهما عن الآخر صار معناهما واحدًا؛ فهو من الكلمات التي إذا اجتمعت افترقت؛ وإذا افترقت اجتمعت، "للفقراء" يعني خالي ذات اليد. يراجع: الشيخ محمد بن صالح العثيمين (2006)، تفسير القرآن الكريم، تفسير سورة البقرة الآية 273، من الموقع الإلكتروني لأهل الحديث والأثر http://alathar.net/home/esound/index.php?op=codevi&coid=92963، يوليو 2020.

[2] الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (المتوفى سنة 774ه، طبعة عام 1400ه - 1980م)، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) - الجزء الأول، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، ص ص 324 - 325.

أما الصفة الثالثة من صفاتهم فقال فيها (**لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ**)، والضرب في الأرض هو السفر أو السير فيها للتكسب والتجارة وغيرهما. أي أنهم عاجزون عن السفر أو السير في الأرض لتحصيل رزقهم بسبب اشتغالهم بالجهاد، أو بسبب ضعفهم وقلة ذات يدهم، أو لما أصابهم من الجراح أو الكسور، أو نحو ذلك.

والصفة الرابعة من صفاتهم هي قوله تعالى: **يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ**. أي الجاهل بأمرهم وحالهم، يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم وتركهم للمسألة.

أما الصفة الخامسة من صفاتهم فهي قوله تعالى: **تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ**، أي تعرف أحوالهم بعلامتهم؛ والعلامة التي فيهم هي أن الإنسان إذا رآهم ظنهم أغنياء؛ وإذا دقق في حالهم تبين له أنهم فقراء؛ لكنهم متعففون. فيمكن أن تعرفهم من حالتهم البائسة التي تستحق الإنفاق عليهم وإن لم يسألوا، حيث يظهر لذوي الألباب من صفاتهم، وفي الحديث الشريف: **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**.

أما الصفة السادسة من صفاتهم فهي قوله تعالى: **لَا يَسْـَٔلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**، والإلحاف كما يقول صاحب الكشاف[1]: هو الإلحاح بأن لا يفارق – السائل المسؤول – إلا بشيء يعطاه. ومعناه: أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحفوا. وقيل هو نفى للسؤال والإلحاف. والذي عليه المحققون من العلماء أن النفي منصب على السؤال وعلى الإلحاف أي أنهم لا يسألون أصلا تعففا منهم، لأنهم لو كانوا يسألون ما ظنهم الجاهل أغنياء من التَّعَفُّفِ، ولو كانوا يسألون ما كانوا متعففين، ولو كانوا يسألون ما احتاج صاحب البصيرة النافذة إلى معرفة حالهم عن طريق التفرس في سماتهم لأن سؤالهم كان يغنيه عن ذلك.

وقال الإمام أحمد عن رجل من مزينة، أنه قالت له أمه: ألا تنطلق فتسأل رسول الله صلى الله عليه سلم كما يسأله الناس فانطلقت أسأله فوجدته قائمًا يخطب، وهو يقول: **ومن استعف أعفه الله، ومن استغنى أغناه الله، ومن يسأل الناس وله عدل خمس أواق فقد سأل الناس إلحافا**، فقلت بيني وبين نفسي لنا ناقة لهي خير من خمس أواق، ولغلامه ناقة أخرى فهي خير من خمس أواق، فرجعت ولم أسأل.

[1] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (المتوفى سنة 538ه)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق خليل مأمون شيحا 1430ه - 2009م، الطبعة الثالثة، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 153.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **من سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشًا أو كدوحًا في وجهه، قالوا يا رسول الله وما غناه؟ قال: خمسون درهما أو حسابها من الذهب**[1].

فالفقراء الواردة صفاتهم بالآية الكريمة هم المستحقون حقًا للصدقة والإنفاق؛ وإذا تخلفت صفة من الصفات فالاستحقاق باقٍ؛ لكن ليست كما إذا تمت هذه الصفات الست.

مسائل تتعلق بالفقراء المتعففين: في تفسير القرطبي للآية الكريمة ٢٧٣ من سورة البقرة أن هذا القول فيه عشر مسائل[2]:

الأولى: قوله تعالى: (**لِلْفُقَرَآءِ**) اللام متعلقة بقوله (**وَمَاتُنفِقُواْمِنْخَيْرٍ**) وقيل: بمحذوف تقديره الإنفاق أو الصدقة للفقراء. قال السدي ومجاهد وغيرهما: المراد بهؤلاء الفقراء فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم، ثم تتناول الآية كل من دخل تحت صفة الفقراء غابر الدهر. وإنما خص فقراء المهاجرين بالذكر لأنه لم يكن هناك سواهم[3]، وهم أهل الصُفة، وكانوا نحوا من أربعمائة رجل، وذلك أنهم كانوا يقدمون فقراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما لهم أهل ولا مال، فبنيت لهم صفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل لهم: أهل الصفة[4]. وكانوا رضي الله عنهم في المسجد ضرورة، وأكلوا من الصدقة ضرورة، فلما فتح الله على المسلمين؛ استغنوا عن تلك الحال وخرجوا، ثم ملكوا وتأمروا.

---

[1] رواه أحمد وأصحاب السنن.

[2] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، (المتوفى سنة 671ه)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان (تفسير القرطبي)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي 1427ه - 2006م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص ص 371 - 380.

[3] القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، (المتوفى سنة 546ه)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الجزء الأول، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد 1422ه - 2001م، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 368.

[4] أهل الصفة - بضم الصاد وتشديد الفاء- وهم فقراء المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وتركوا أموالهم بمكة وهاجروا إلى المدينة لإعلاء كلمة الله لا يستطيعون زراعة ولا تجارة. ونقل القاضي عياض في إكمال المعلم عن الحربي أن الصفة مكان مقتطع من المسجد النبوي بالمدينة مظلل عليه ليأوي إليه فقراء المهاجرين الذين تركوا أموالهم بمكة، يبيتون فيه، ثم قال القاضي عياض: وأصله صفة البيت، وهو مثل الظلة أمامه، وذكر عن بعضهم أنهم إنما سموا أصحاب الصفة لأنهم كانوا يصفون على باب المسجد. يراجع:
الإمام أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، (المتوفى سنة 544 ه)، شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم - الجزء السادس، تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل 1419ه - 1998م، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص325.

ثم بين الله سبحانه من أحوال أولئك الفقراء المهاجرين ما يوجب الحنو عليهم بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، والمعنى: حبسوا ومنعوا. قال قتادة وابن زيد: معنى (﴿أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) حبسوا أنفسهم عن التصرف في معايشهم خوف العدو[1]، لكون البلاد كلها كفراً مطبقًا، وهذا في صدر الإسلام، وإنكار الكفار عليهم إسلامهم يمنع من التصرف في التجارة فبقوا فقراء. أو أعيقوا عن أعمالهم لأجل سبيل الله وهو الهجرة، وقد قيل أن أهل الصفة كانوا يخرجون في كل سريه يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد في سبيل الله. ولا يستطيعون ضربًا لأنهم عاجزون عن التجارة لقلة ذات اليد.

الثانية: قوله تعالى (﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾) أي إنهم من الانقباض وترك المسألة والتوكل على الله بحيث يظنهم الجاهل بهم أغنياء.

الثالثة: قوله تعالى (﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾) فالسيماء أثر الفاقة والحاجة في وجوههم وقلة النعمة، أو يكون أثر السجود فكانوا يعرفون بصفرة الوجوه من قيام الليل وصوم النهار. وفي هذا دليل على أن للسيما أثراً في اعتبار من يظهر عليه ذلك، ومنه قوله تعالى: (﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾). فدلت الآية على جواز صرف الصدقة إلى من له ثياب وكسوة وزي للتجمل. واتفق العلماء على ذلك، وإن اختلفوا بعده في مقدار ما يأخذه إذا احتاج؛ فأبو حنيفة اعتبر مقدار ما تجب فيه الزكاة، والشافعي اعتبر قوت سنة، ومالك اعتبر أربعين درهما، والشافعي لا يصرف الزكاة إلى المكتسب.

الرابعة: قوله تعالى (﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾) معناه الشمول بالمسألة إما للناس وإما في الأموال، فيسأل من الناس جماعة، ويسأل من المال أكثر مما يحتاج إليه، وبناء "لحف" للشمول، ومنه اللحاف، وهو الثوب الذي يشتمل به، ونحوه الإلحاح؛ يقال: ألحف في المسألة إذا شمل رجالاً أو مالاً، وألح فيها إذا كررها[2].

---

[1] جاء قول قتادة وابن زيد في المحرر الوجيز: أحصر إنما يكون بالمرض والأعذار وحصر بالعدو، وذكر أن تفسير الإحصار بالعدو هو قول السدي. يراجع: القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، مرجع سبق ذكره، ص 368.

[2] أبو بكر محمد عبد الله المعروف بابن العربي، (المتوفى سنة 543ه - 1148م)، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا 1424ه - 2003م، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 318.

وروى النسائي ومسلم[1] عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان، إنما المسكين المتعفف، اقرؤوا إن شئتم (**لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا**).

الخامسة: واختلف العلماء في معنى قوله (**لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا**) على قولين؛ فقال قوم منهم الطبري والزجاج[2]: إن المعنى لا يسألون البتة، وهذا على أنهم متعففون عن المسألة عفة تامة، وعلى هذا جمهور المفسرين، ويكون التَّعَفُّفِ صفة ثابتة لهم، أي لا يسألون الناس إلحاحًا ولا غير إلحاح.

وقال قوم: إن المراد نفي الإلحاف، أي إنهم يسألون غير إلحاف، فعن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لا تلحفوا في المسألة، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئًا فتخرج له مسألته مني شيئًا وأنا كاره فيبارك الله له فيما أعطيته**.

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **من سأل وله أوقية فهو ملحف**[3]. وهذا الحديث يدل على أن السؤال مكروه لمن له أوقية من فضة أو ما يقوم مقامها، وما جاءه من غير مسألة فجائز له أن يأكله إن كان من غير الزكاة.

السادسة: قال ابن عبد البر[4]: من أحسن ما روي من أجوبة الفقهاء في معاني السؤال وكراهيته ومذهب أهل الورع فيه ما حكاه الأثرم عن أحمد بن حنبل، وقد سئل عن المسألة متى تحل؟ قال: إذا لم يكن عنده ما يغديه ويعشيه على حديث سهل بن الحنظلية[5]. قيل لأبي عبد الله: فإن اضطر إلى المسألة؟ قال: هي مباحة له إذا اضطر. قيل له: فإن تعفف؟ قال: ذلك خير له. ثم قال: ما أظن أحداً يموت من الجوع، الله يأتيه برزقه. ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري: **من استعف أعفه الله**[6].

---

[1] صحيح مسلم - حديث رقم (1039)، صحيح البخاري - حديث رقم (4539)، والمجتبى 5/85، وهو في المسند (9140).
[2] المرجع السابق مباشرة، نفس أرقام الأحاديث.
[3] أبو بكر محمد عبد الله المعروف بابن العربي، مرجع سبق ذكره، ص 319، عن أصحاب السنن..
[4] يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي أبو عمر، (المتوفى سنة 463 ه)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - الجزء الرابع، تحقيق مصطفى أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري 1387ه - 1967م، الطبعة الثانية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ص ص 120 - 123.
[5] يريد به حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم" قالوا: يا رسول الله، وما يغنيه؟ قال: "ما يغديه أو يعشيه". أخرجه أحمد (17625)، وأبو داود (1629).
[6] صحيح البخاري - حديث رقم (1469)، وأخرجه أحمد (10989)،.

قال أبو بكر: وسمعته يسأل عن الرجل الذي لا يجد شيئًا، أيسأل الناس أم يأكل الميتة؟ فقال: أيأكل الميتة وهو يجد من يسأله! هذا شنيع. وقال: وسمعته يسأل: هل يسأل الرجل لغيره؟ قال: لا، ولكن يعرض، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين جاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار، فقال: "**تصدقوا**" ولم يقل: أعطوهم[1]. فالرجل يذكر الرجل فيقول: إنه محتاج؟ فهذا تعريض، وليس به بأس، إنما المسألة أن يقول: أعطه.

السابعة: فإن جاءه شيء من غير سؤال فله أن يقبله ولا يرده؛ إذ هو رزق رزقه الله. روى مالك[2] عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطاء فرده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لم رددته؟**" فقال: يا رسول الله، أليس أخبرتنا أن أحدنا خير له ألا يأخذ شيئًا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **إنما ذاك عن المسألة، فأما ما كان من غير مسألة؛ فإنما هو رزق رزقكه الله**؛ فقال عمر بن الخطاب: والذي نفسي بيده، لا أسأل أحدًا شيئًا، ولا يأتيني شيء من غير مسألة إلا أخذته.

الثامنة: الإلحاح في المسألة والإلحاف فيها مع الغنى عنها حرام لا يحل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **من سأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمرا، فليستقل أو ليستكثر**[3]. وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم**[4].

التاسعة: السائل إذا كان محتاجًا فلا بأس أن يكرر المسألة ثلاثًا؛ إعذارًا أو إنذارًا، والأفضل تركه[5]. فإن كان المسؤول يعلم ذلك وهو قادر على ما سأله؛ وجب عليه الإعطاء، وإن كان جاهلاً به فيعطيه مخافة أن يكون صادقًا في سؤاله فلا يفلح في رده.

---

[1] صحيح مسلم - حديث رقم (1017) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، وسلف 1/428. قوله: النمار، بكسر النون، جمع نمرة، بفتحها، وهي ثياب صوف فيها تنمير. وقوله: مجتابي النمار، أي: خرقوها وقوروا وسطها. شرح مسلم للنووي 7/102.

[2] الإمام مالك بن أنس، (المتوفى سنة 179ه)،الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي 1406ه - 1985م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص998.

[3] صحيح مسلم - حديث رقم (1041)، وهو في المسند (7163).

[4] صحيح مسلم - حديث رقم (1040)، صحيح البخاري - حديث رقم (1474)، وهو في المسند (4638).

[5] أبو بكر محمد عبد الله المعروف بابن العربي، مرجع سبق ذكره، ص ص 319 - 320.

العاشرة: فإن كان محتاجًا إلى ما يقيم به سنة، كالتجمل بثوب يلبسه في العيد والجمعة، فذكر ابن العربي[1]: سمعت بجامع الخليفة ببغداد رجلاً يقول: هذا أخوكم يحضر الجمعة معكم، وليس له ثياب يقيم بها سنة الجمعة، فلما كان في الجمعة الأخرى رأيت عليه ثيابًا جددًا، فقيل لي: كساه إياها فلان لأخذ الثناء بها.

خلاصة الفوائد التي نستخلصها من الآية الكريمة: إن أهم الفوائد التي نستخلصها من الآية الكريمة المذكورة أن السؤال إنما يجوز عند الضرورة، وأنه لا يصح لمؤمن أن يسأل الناس وعنده ما يكفيه، ولا يجوز أن نعطي من يستطيع التكسب؛ لأنه وإن كان فقيرًا بماله؛ لكنه ليس فقيرًا بعمله، والدعوة إلى فضيلة التَّعَفُّفِ، وينبغي على المؤمن أن يكون ذا فطنة وفراسة يعرف ب (السيما)، بحيث يستطيع أن يتفرس في وجه إخوانه المؤمنين ليرى من عليه هم الحاجة ومن عنده خواطر العوز، ولا يدع أخاه يسأل. وفي هذه الآية تحريض للمؤمن على البذل والسخاء، وترقية لنفسه على الشعور بمراقبة الله تعالى وعلى محبة فعل الخير. وما تنفقوا من خير سواء أكان المنفق قليلا أم كثيرا سرا أم علنا فإن الله يعلمه وسيجازيكم عليه بأجزل الثواب، وأعظم العطاء.

فالإسلام يدعو إلى التَّعَفُّفِ ومن ثم التنفير من السؤال الذي يورث الذلة في الدنيا والآخرة، ويحث الإسلام على العمل والسعي في طلب الرزق، لذا كان من الأهمية الترغيب في العمل وإبراز قيمته وأهميته في الدين الإسلامي وتوضيح أثر العمل في حياة المسلمين.

حث الإسلام على العمل: لقد وردت في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحثّ على العمل، ومنها قول الله تعالى: **وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا** (النبأ: ١١)، وفي هذه الآية بيان من الله بأنّه جعل للبشر النهار مُضيئًا؛ ليتمكّنوا من العمل، والسّعي ابتغاء تحصيل رزقهم ومعاشهم. وقوله تعالى: **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (الجمعة: ١٠)، هو بيان من الله أنّه لا بُدّ للمسلم من الموازنة بين أمر دينه ودُنياه؛ فأوجب عليه الصلاة، ولكنّه أباح له بعدها أن يذهب إلى عمله، ويسعى إلى تحصيل رزقه، مع عدم نسيانه ذِكرَ لله، فيبقى مُراقبًا لله في عمله.

[1] أبو بكر محمد عبد الله المعروف بابن العربي، مرجع سبق ذكره، ص 319.

وورد الكثير من الأحاديث النبوية التي تحثّ على العمل، نذكر منها: قول النبي صلى الله عليه وسلم: **ما أكَلَ أحَدٌ طَعامًا قَطُّ خَيْرًا مِن أنْ يَأْكُلَ مِن عَمَلِ يَدِه، وإنَّ نَبِيَّ اللَّهِ داوُدَ كانَ يَأْكُلُ مِن عَمَلِ يَدِيه**[1]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه**. وفي رواية أخرى، عن الزبير بن العوام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**[2]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة).

وقد امتهن الأنبياء مهن وحرف عديدة؛ لأنّهم قدوة لغيرهم من البشر في الأخذ بالأسباب، والسعي في تحصيل الرزق. فقد كان سيدنا آدم عليه السلام يعمل في زراعة الأرض، حيث كان يحرث الأرض ويزرعها ويتعهدها، وكان نوح عليه السلام يعمل نجاراً، ونبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يعمل بمهنة البناء، ومهنة نبي الله إسماعيل عليه السلام هي الصيد، أمّا زكريّا عليه السلام فقد كان نجّاراً، وكان إدريس علية السلام خياطًا، وكان صالح وشعيب عليهما السلام يعملان في التجارة، وموسى عليه السلام في رعي الأغنام، ونبي الله داوود عليه السلام كان يعمل في الحِدادة وصناعة الدروع الحديدية والأسلحة، والنبيّ محمد صلى الله عليه وسلم عمل في التجارة مع ميسرة خادم خديجة رضي الله عنها.

وهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحترفون ويتجرون وهم فقراء حتى أغناهم الله. وفي قصة عبد الرحمن بن عوف ما يوضح ذلك. فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه وقال: قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة، فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك! دلني على السوق. فربح شيئًا من أقط وسمن، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أيام وعليه وضر من صفرة، فقال النبي صلى الله

---

[1] الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، (المتوفى سنة 256 ه)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه الشهير ب صحيح البخاري، جمعية البشرى الخيرية للخدمات الإنسانية والتعليمية، كراتشي، سنة الطباعة 1437ه/ 2016م، حديث رقم (2072)، ص 1008.

[2] صحيح البخاري، حديث رقم (1470، 1471)، ص 782.

عليه وسلم: "**مهيم يا عبد الرحمن؟**" قال: يا رسول الله، تزوجت امرأةً من الأنصار. قال: "**فما سُقتَ فيها؟**" قال: وزن نواةٍ من ذهب. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**أولم ولو بشاةٍ؟**"[1].

ويمكن أن نذكر من الحديث النبوي عندما بعث النبي صلى الله علية وسلم مُعَاذًا إلى اليمن قال له: "**إن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم**"[2]. من أجل تحقيق عدالة الإسلام والتكافل الاجتماعي بين الناس، حيث كان بيت المال في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين، تُجبى إليه الأموال من عدة مصادر منها أموال الزكاة والصدقات التي يتم توزيعها على المستحقين.

[1] المرجع السابق، حديث رقم (3937)، ص 1767.
[2] المرجع السابق، حديث رقم (1395)، ص 747.